ب/ اصطلاحا:

1- الخطاب في المفهوم الغربي: تماثل مفهومه مع مفهوم المقال عند أفلاطون [1]، كما حاول رينيه ديكارت في عصر النهضة أن يؤسس للخطاب في كتابه خطاب في المنهج .[2]

أما في العصر الحديث فقد ارتبط المفهوم المعرفي و الفلسفي للخطاب بكتابات ميشال فوكو M.Focaultالذي تكتسي أبحاثه عن الخطاب أهمية كبيرة في الدراسات الثقافية ، و يعتقد الكثير من الدارسين أنه المفكر الوحيد الذي حد بذقة مفهوم الخطاب ،كما اعتبر آخرون أعماله عن نظرية الخطاب عصية على الفهم ،و أرجعوا سبب ذلك لاشتغاله على مواضيع كثيرة و متنوعة كالتاريخ، و الجنون ،و الادب النسوي ،و اللغة ،و المعرفة ...الخ، و تعرتف سارة ميلز بصعوبة تلقي ميشال فوكو ، تقول :" إن أعمال فوكو ليست نسقا فكريا و لا هي نظرية عامة ،فأعماله تمثل تنويعة عريضة من الموضوعات ، و من الصعب أن نصفه بالمؤرخ أو الفيلسوف أو العالم النفسي أو المفكرة النقدي "[3] .

عرف ميشال فوكو الخطاب بالقول :" هو أحيانا يعني الميدان العام لمجموعة المنطوقات و أحيانا أخرى مجموعة متميزة من المنطوقات و أحيانا ثالثة ممارسة لها قواعدها تدل دلالة وصف على عدد معين من المنطوقات وتشير إليها"[4].

لا يحصر هذا المفكر الخطاب في معنى واحد و ووحيد بل هو –عنده متعدد المعاني لأنه يرد في سياقات متعددة ، يقول : " بدلا من اختزال المعنى المتذبذب للفظ discourse أظن أني أضفت لمعانيه معاملته أحيانا باعتباره النطاق العام لكل الجمل ، أحيانا باعتباره مجموعة متفردة من الجمل ، و في أحيان أخرى باعتباره عملية منضبطة تفسر عددا من الجمل "[5].

---

[1] -عبد المنعم حنفي ، موسوعة الفلسفة و الفلاسفة ،مكتبة مدبولي ، القاهرة ،مصر، ط2 ، 1999 ، ص598 .

[2] - ميشال فوكو : حفريات المعرفة ،ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2 (منقّحة)، 1987، ص78.

[3] -سارة ميلز: الخطاب :ترجمة عبد الوهاب علوب ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، مصر، 2016، ط1، 29.

[4] - المرجع السابق ، ص78.

[5] - سارة ميلز: الخطاب :ترجمة عبد الوهاب علوب ،ص29.

يرد في قول فوكو الذي أعادته سارة ميلز ثلاثة تعريفات للخطاب .يخص الأول المعنى ، فكل شيي له معنى يعد خطابا سواء تعلق الأمر بكلمة شفاهية كانت أم مكتوبة ، أو يخص نصا بعينه ؛ مهما كان الشكل الذي يردان فيه..

و أما التعريف الثاني فيركز فيه على خصوصية الخطاب التي تتجلى من خلال بناه ؛ فلكل خطاب بنيات خاصة تميزه عن بقية الخطابات الأخرى .و أما التعريف الثالث فهو الشائع بين الدارسين الهتمين بفكر فوكو ، و هو يعني عنده جملة من النصوص المنظمة للسلوك و العلاقات الاجتماعية ، و كذا المعرفة ، و و للخطاب بهذا المفهوم منطق تعرية الواقع بكل أبعاده لذا يقترح من خلاله طريقة لتحليل الإيديولوجيا بدعوى أنه له منطق، يقول فوكو:" و للخطاب منطق داخلي و ارتباطات مؤسسية فهو ليس ناتجا بالضرورة عن ذات فردية يعبر عنها او يحمل معناها او يحيل عليها ، بل قد يكون خطاب مؤسسة أو فترة زمنية أو فرع معرفي معين "[6].

و يعتبر فوكو – إلى جانب ذلك – المنطوق أبسط أجزاء الخطاب، يقول : " فقد استخدمت في مناسبات عديدة لفظ عبارة [كوحدة أولية للخطاب في نظره] إما لأشير به لعدد من العبارات... أو لأميزه عن تلك التي أسميها خطابات (مثلما يتجزأ الجزء من الكل) ،و يبدو أن العبارة لأول وهلة كعنصر أخير أو جزء لا يتجزأ قابل لأن يستقل بذاته و يقيم علاقات مع عناصر أخرى مشابهة له ...فالعبارة أبسط جزء في الخطاب " [7] .

2– الخطاب بالمفهوم اللساني:

بداية يمكنني الإشارة لمفهوم الخطاب بشكل عام ، و الذي قد يُحصر في الكلام بين متكلمين قد يستخدمان وسائط متعددة للتواصل يمكن أن تكون شَفَهية، أو مَكْتُوبة، أو مَرْئِيَة، أو حركية ، أو لمسية ، أو شمية ، و كثيرة هي طرق التواصل التي يستعين بها الانسان في حياته اليومية لقضاء أغراضه المعرفية .

تعددت مفاهيم الخطاب في اللسانيات بتعدد طرق التواصل و أشكاله، و لعله من المفيد أن نبدأ مناقشة هذه المفاهيم بتعريف رومان جاكبسون ، فالخطاب من منظوره يتضمن

---

[6] -ميشال فوكو : نظام الخطاب ، ترجمة محمد سيلا ، دار التنوير ، ط1 ، 1984، ص209.

[7] -المرجع نفسه، ص76.

مفهوم الرسالة ، و مادام الأمر كذلك فإنه من الضروري أن نتوقف عند عناصر العملية التخاطبية ،كما أشار إليها هذا العالم اللّساني.

أ– عناصر العملية التخاطبية عند رومان جاكبسون:[8] **Roman Jakobson**

أ– المرسل : يعتبر المرسل الركن الأساسي في العملية التواصلية اللفظية و غير اللفظية ، فهو منشئ الرسالة أو الخطاب الذي يوجهه إلى المخاطَب أو المرسل إليه ، و قد أطلقت عدة تسميات على المرسل فهو: الباث و المخاطب و الناقل و المتحدث ، والمرسِل.

المرسل مهم جدا في العملية التخاطبية، إذْ يستحيل لأي وضع تخاطبي أن يستغني عنه، وله وضعيات مختلفة تمليها عليه طبيعة خطابه أو نوعه ، فللخطاب السياسي لغته و تقنياته كونه موجهاً إلى كل الناس، ولا يتحتم فيه على رجل السياسة أن يوظف كل الأنظمة اللسانية، كما أنّ للخطاب العادي لغته أيضا؛ فهو بسيط في سننه (لغته)، وفي قيمته الإخبارية؛ لانّه لصيق بالواقع أو بقضايا الحياة اليومية . بينما ينماز الخطاب الأدبي من غيره ، و بخاصة الشعري منه، من حيث لغته وتقنياته، فهو يتعالى على لغة الخطاب اليومي، و ينفلت أو يتملص من عالم الواقع .

و هناك شروط لا بدّ أن تتوفر في مرسل الخطاب ، ومنها :

- ✓ أن يتمتع بالقدرتين المستقبلة و المنسقة للقيام بعملية الترميز و تفكيك الرمز، و ذلك بالرجوع إلى النظام اللغوي الذي ينتمي إليه مع مستقبل الرسالة .
- ✓ أن يتمتع بلياقة كافية على المستوى الفيزيولوجي؛ لأن الرسالة تتطلب قدرة على بثها ، وقدرة على مستوى الصوت و الكتابة معاً.

3–المرسل إليه : أطلق عليه اسم المستقبل، وهو الذي يقوم بعملية فك التشفير أو التفكيك لكل أجزاء الرسالة سواء كانت كلمة أم جملة أم نصا... و قد أطلق عليه دي سوسير DE SAUSSURE اسم المتحدث ب في دارته التواصلية التي جاءت بهذا الشكل:

ترميز

---

[8] -ينظر: الطاهر بومزبر: التواصل اللساني و الشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون ، منشورات الاختلاف ،الجزائرالعاصمة، ط1 ، 2007.ص24 وما بعدها.

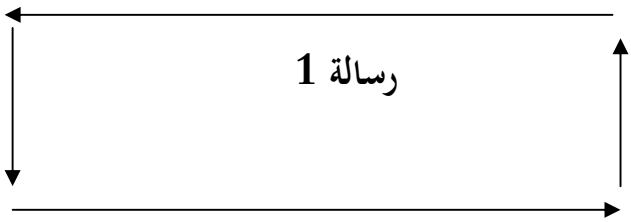

و هناك نوعان من المرسل إليه : مرسل إليه مباشر و مرسل إليه غير مباشر.

أ – مرسل إليه مباشر : مثل خطاب أو لقاء صحفي و ضيف معين ، وذلك يتطلب حضور الطرفين على المستوى الزماني و المكاني .

ب– مرسل إليه غير مباشر : و يمثله مستقبل النص أو الخطاب الأدبيين اللذين يتوجهان إلى مرسل إليه أو إلى قارىء موجود في كل مكان وزمان .

3– الرسالة: هي أهم عنصر في العملية التخاطبية يمكن أن تكون :

- ✓ **شفوية: (ترد في صور سمعية)**
- ✓ **مكتوبة: (ترد على شكل رموز كتابية، أو أحرف و علامات خطيّة) .**
- ✓ **إشارية :(كلغة الصم البكم، وإشارات المرور، والإشارات العسكرية.**
- ✓ **إيمائية : (إيماءات وحركات بالكتفين، والمنكبين ، وبأصابع اليد، ولغة العيون ...)**
- ✓ **شميّة: (مثل الروائح بأنواعها).**

4– السنن : أطلق علية الدارسون مصطلحات كثيرة فهو اللغة عند دي سوسير، و النظام عند ليوي هيلمسليف، و القدرة عند نوام تشومسكي، و يتمثل السنن في النظام اللغوي المشترك بين المرسل و المرسل إليه، إذْ لا بد أن يكون مشتركا حتى تتم عملية التواصل أو التخاطب، و حتى تحصل القيمة الإخبارية له، فنجاح العملية التواصلية متوقف على هذا النظام المشترك الذي تتفق حوله الجماعات البشرية (لكل جماعة بشرية نظام لغوي خاص بها) ، و الأكثر من هذا أنّ داخل هذا النظام المشترك أنظمة لغوية فرعية (لغة الخطاب عند فئة معينة ؛ كالأساتذة، والطلبة ، والفلاحين ، والعمال ، والتجار) ، فكل جماعة لها قاموسها اللغوي الخاص بها .

هذا النظام هو ترسانة فكرية يعود إليها الفرد قصد التواصل مع الغير، أو عند الحاجة إلى التخاطب اللفظي .

5/ السياق: هو المرجع فلكل رسالة مرجع خاص بها، وهو الموقف الذي قيلت فيه الرسالة، وهو المنتج الفعلي لها، و قد قسمه رومان جاكبسون إلى قسمين :

1– سياق لفظي : كأن يطلب منا التكلم الفعلي لغاية ما.

2– سياق غير لفظي : و يتمثل في المحيط الذي تولد فيه الرسالة، و يتضمن الموقع (الإطار الزماني و المكاني) أي خطاب هو وليد لحظة زمنية معينة، و مطابق لحيز مكاني معين .كما يتضمن الهدف، إذ لكل رسالة أو خطاب هدفٌ وغاية، و الهدف الأسمى هو تحقيق التواصل (يمكن أن نتكلم لأجل الكلام، أي ضمان صيانة الوشيجة الاجتماعية)كما يدخل في السياق المشاركون في العملية التواصلية ، و تتوضح الرسالة أو سياقها أكثر فأكثر من خلال ميزات المشاركين في العملية التخطابية، أي صفاتهم ، وأجناسهم ، وأعمارهمم ، ومستوياتهم الثقافية، ومهنهم، وحالاتهم الاجتماعية، وعلاقاتهم .

6– القناة: هي التوظيف السليم للسنن أو اللغة، أي لابد من توفر الممر السليم كي تحصل العملية التواصلية، و المخطط التالي يوضح العناصر السابقة :

السياق (مرجعيّة)		
القنـاة (انتباهية)		
المرسل (تعبيرية)	الرسالة (شعرية)	المرسل
إليه(إفهامية)		
السنن (ما وراء لغوية)		

ينتج عن كل عنصر من العناصر السابقة وظيفة :

1–المرسل :تنتج عنه وظيفة تعبيرية .

2–المرسل إليه تنتج عنه وظيفة إفهامية.

3–الرسالة ينتج عنها وظيفة شعرية.

4–القناة ينتج عنها وظيفة انتباهية.

5– السنن ينتج عنه وظيفة ماوراء اللغة.

6–السياق ينتج عنه وظيفة مرجعية .

ب– مفهوم زاليغ هاريس للخطاب : يمكن القول إن مفهوم الخطاب حديث النشأة ارتبط ظهوره باللسانيات التي انصبت دراستها على الجملة، و تجاوزها الخطاب على يد هاريس بتحليل عرف بالتوزيعي ، حيث يقوم الدارس بتقطيع النص إلى عناصر تركيبية مجتمعة في طبقات متعادلة : تتكون مثل هذه الطبقة من مجموع العناصر التي تستطيع أن تظهر في سياق متطابق أو متشابه ؛ فالتحديد يريد لنفسه أن يكون نحوا محضا ، أي أنه لا يأخذ في الحسبان مسألة العلاقة الدلالية بين العناصر المتعادلة نحوا " [9] .

و يعتبر هاريس Z.HARRIS بإجماع اللسانيين– أول من حاول توسيع مفهوم الجملة، وقد عرف الخطاب بأنه " ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بوساطة المنهجية التوزيعية ، و بشكل يجعلنا نظل في شكل لساني محض"[10].و الجدير بالذكر أن هاريس يعرف الملفوظ بالقول: " أن الملفوظ هو كل جزء من أجزاء الكلام يقوم به متكلم ،و قبل هذا الجزء و بعده هناك صمت من قبل هذا المتكلم " [11] .

يمكن أن نسجل من التعريف السابق عدة ملحوظات منها :

–يعتبر هاريس أول من وسع مفهوم الجملة أو توسيع مجال الجملة إلى ما هو خارج الجملة و هذه مسألة لسانية محضة . ما معنى ذلك ؟ من المعروف أن الدراسات اللغوية – قديما وحديثا– قصرت اهتمامها على الجملة بعدّها أعلى مستوى للدراسة، و ذلك بهدف الكشف عن مختلف القوانين اللغوية، و من المعروف أنه لا يوجد تعريف واحد خاص بالجملة، فهناك ما يزيد عن مئتي تعريف، وكل الدراسات تناولت إما مفهوم الجملة أو مكوناتها، أو الوقوف عند هذه المكونات ، أو تحديد وظائفها، و طرق الربط بين عناصر الجملة أو وصف بنية الجملة ، أو تحديد وظائف مختلف الجمل (تعجبية ، استفهامية ،

---

[9] - سعيد يقطين :تحليل الخطاب الروائي (الزمن ،السرد ، التبئير)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط3، 1997، ص17، نقلا عن زاليغ هاريس.

[10] -المرجع نفسه :ن ص

[11] - المرجع نفسه :ص17

طلبية ...) أو قد نتحدث كذلكعن إعرابها عندما تكر الوظيفة. استمر هذا الوضع حتى منتصف القرن الماضي أي ظهرت البنيوية، وسيطرت على مختلف الدراسات اللغوية، ودعت إلى ضرورة تجاوز نحو الجملة .

يتناول التأسيس لنحو أشمل بالدراسة وحدات لغوية أوسع من الجملة . و قد أفضى هذا التوجه إلى ظهور مصطلحين هما الخطاب والنص كنتيجة للتشكيك في شرعية الجملة كوحدة جديرة بأن تكون موضوع الدراسة اللسانية [12].

– الجديد في تعريف هاريس أن اللسانيات التقليدية ركزت دراستها على الجملة بوصفها نظاما، و ليست تتابعا لأنها لا يمكن أن تختزل إلى مجموعة من الكلمات ، في حين أن الملفوظ هو تتابع من الجملة فهو خطاب، فظهرت بذلك لسانيات الخطاب التي اعتبرت الجملة أصغر وحدة في الخطاب ، أي أصبحت الجملة خطابا صغيرا في خطاب أكبر .

–يصبح الخطاب بمفهوم هاريس سلسلة متتالية من الجمل ، أي يصبح هنا مرادفا لملفوظ ، ويصبح هو موضوع اللسانيات بمعنى هدفها ، تقوم بمعاينته عندما تحدد قوانينه و قواعده ، أي تقوم بوصف سلسلة متتالية من الجمل، و لكن السؤال الذي يُطرح؛ هل يمكن للسانيات أن تدرس الخطاب، نقول " ليس باستطاعتها فهي تجد نفسها ملزمة إلى العودة إلى علم النفس وعلم الاجتماع و تعليم اللغات ، و دراسة الأدب لأن الخطاب يتربط بالسياق الذي تحدده ثقافة المجتمع، فبانعدامه يصبح التلقي من الأمور المستحيلة، و الخطاب لا يتحدد بجملة أو مجموعة من الجمل بغض النظر عن كونها مكتوبة أو شفوية داخل حيز ثقافي معين"[13].

معنى هذا أن الأمر يستلزم العودة إلى خارج الملفوظ (خارج–الخطاب) لكشفه.

– سعى هاريس إلى تطبيق تصوره التوزيعي على الخطاب، والذي من خلاله تصبح كل العناصر ، أو متتالياتها لا يلتقي بعضها ببعض بشكل اعتباطي، و في مختلف مواطن النص،

---

[12] - ينظر محمد الاخضر الصبيحي : مدخل إلى علم النص ، منشورات الاختلاف ، الجزائر و الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2008، ص68 - 71.

[13] - المرجع نفسه : ص139.

إذ أن التوزيعات التي تلتقي من خلالها هذه العناصر تعبر عن انتظام معين يكشف عن بنية النص (هذا الانتظام يسميه التوازي).

– عندما نقول إن الخطاب جملة يعني حصره في زاوية ضيقة لا تتسع لدراسته، معنى هذا أننا نهمل عناصر الخطاب الأخرى .

– لم يهتم هاريس بالعلاقة الموجودة بين اللغة (الجمل الممتتالية) و الثقافة والمجتمع، باعتبارها قضايا خارج لسانية ، بمعني أنه أهمل دراسة السياقات ، و هذا هو المأزق .